

مؤسسة الشيخ عمي سعيد
ثقافة - تربية - تراث

التظاهرة التأبينية للشيخ أحمد بن بكر بازين رحمه الله:
[1349هـ/1931م - 1430هـ/2009م]
وقفه نأمل في مسيرة رائدة... اطنوا صلة

محور الأوقاف

مداخلة بعنوان:

الوقف الثقافي وحاجة الأمة إليه

إعداد الأستاذ: أحمد بن مهني مصلح

معهد العلوم الشرعية

مسقط سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

* تمهيد:

الوقف نظام إسلامي أصيل أسهم على مدى التاريخ في التنمية البشرية والعلمية، وتقلبت حركته بين الانكماش والانتعاش، وابتكر فيه المسلمون أنواعا شتى ولم يكتفوا برعاية الإنسان بل تجاوزوه إلى العناية بالطير والحيوان، ولم يقتصروا على تسهيل الأراضي وتشييد المصحات وبناء المساجد ووقف النقود ولكن من ليس له مال ولديه وقت أمكنه أن يشارك بوقته في العمل التطوعي ويصبح واقفا لوقته . واشترك في التحسيس الذكور وربات الخدور ، ومن أطرف أنواع الوقف تمكين الحبلى في فترة الوحام مما تشتهيه من السوق دون مقابل، وأحيط طالب العلم بخيرات الحبس من بداية سلوكه الطريق يلتمس العلم إلى تخرجه مشعلا ينير الدرب: فمبنى الكتاب لتحفيظ القرآن وقف وراتب المؤدب من مال الوقف ، واللوح والمداد والورق والقلم من أموال الوقف ، وكلما تدرج الطالب كفي حاجته من الوقف ، وتوفرت له الكتب وضمن له السكن والإعاشة ، وأعطى منحة تشفي الغليل وتجعله يتفرغ للدرس . نعم كل شيء بالمجان ، فقد عد ابن حوقل ثلاثمائة كتاب تعليم للقرآن في صقلية في ظل حضارة المسلمين بها ، توفر الألواح والخابر وخلعة العلماء وبدل النقل والسكن بالقسم الداخلي.

ويمثل الوقف صفحة مشرقة في التاريخ الحضاري للمسلمين، حيث وجدت فيه المجتمعات الإسلامية ، استجابة لدعوة الشارع الحكيم لفعل الخير، وتفسيرا مباشرا لمعنى الصدقة الجارية، وتعبيرا عمليا عن قيم الإيثار والمروءة ، وعروة وثقى تشد المسلم بمجتمعه وبيئته ، وطريقا ممهدا لتقوية الفرد اجتماعيا واقتصاديا مع أهله ومجتمعه.

وإلى الوقف يدين التراث الثقافي والحضاري للمسلمين بالحفظ وتدين المكتبات والمساجد والأربطة والمشافي ودور الأيتام بالتزويد والتشييد والدعم ، وتدين معاهد التعليم وطلابه بالمساندة والمساعدة وكفالة الاستمرار. لقد مؤل الوقف دور العبادة والعلم والرعاية الصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.

إن الوقف مؤسسة خيرية متسامحة لا ترد قاصدها ولو كان غير مسلم ، بل يعم نفعها الجميع ، وهي صدقة جارية تطوعية تختلف عن الزكاة المفروضة المحددة المصارف.

و قد راهن الأصحاب على العلم فنجد أغنياءهم يحبسون أموالهم على طلبته وينفقون بسخاء على المدارس والمكتبات لأنهم أدركوا أن ازدياد العلم مطية للفهم واستيعاب للمحيط بينما قلّته سبيل إلى التفوق والإنكار كما قال الإمام المازري: (من كثر علمه قلّ إنكاره)

إن الوقف الراعي للجانب الثقافي يسّر للعديد من طلاب العلم التفوق في الدراسة والإشعاع في البيئة التي يعيشون فيها أو التي سيرجعون إليها . والوقف عطاء متدفق وشريان للعمل الخيري ، وهو عطية قبل السؤال يكرم بها الواقف إخوانا يأتون بعده وقد لا تربطه بهم وشيجة قربى مما يستوجب حمد المسبّلين ممن وظف ماله في خدمة المستحقين من أفراد الأمة.

وتأتي الظاهرة التأبينية بتخصيصها محورا للأوقاف كحلقة في سلسلة متصلة لإظهار دور الوقف الحضاري في تعزيز طلب العلم ونشر الثقافة الهادفة والقيم النبيلة.

وإسهاما مني في إحياء سنة الوقف وترويج ثقافته أقدم: قراءة تاريخية لتواصل أهل جربة من مهجرهم بمصر مع طلاب العلم المصعبين بغرداية وتحديدًا بجامع الشيخ سعيد الجربي من خلال وقف الكتب، مع الإشارة إلى أهمية الوقف الثقافي مقارنة بمجالات الوقف الصحي (المستشفى) والاجتماعي (تنوبة)، وطرح سؤال: هل الثقافة مقدمة على باقي المجالات، أم مساوية لها أم متأخرة عليها؟ وذلك باستعراض نماذج مشرفة لأوقاف السلف، وباقتراح تأسيس وقيّات تحيي دور الحبس في رفد الثقافة،

- بتشديد دور العلم وبناء الرواق أو البعثة (السكن الطلابي)
- وفتح المكتبات الزاخرة بالمخطوطات والمصنفات
- وتخصيص المنح الدراسية للمتفوقين
- وإحداث الكراسي العلمية في الجامعات
- وتخصيص جوائز للبحوث الوقفية
- وإقامة المطبعة ووسائل الاستنساخ.
- وغيرها من الخدمات التي تحتاجها الأمة لمقاومة ثلوث الجهل والفقر والمرض.

* تعريف مفردات البحث :

الوقف: هو منع التصرف في رقة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء.

(كل شيء يحقق منفعة: له قيمة، لذلك يمكن وقفه دقّ أو عظم كالوقت والخبرة والتخصص في أي شعبة من شعب المعرفة).

الثقافة: هي معرفة عملية مكتسبة تتجلى في السلوك الواعي للإنسان في تعامله مع الآخر، أو هي رؤية عامة منبثقة من قيم الوحي (الكتاب والسنة) لكيفية تعامل الإنسان المسلم مع الحياة بجوانبها المختلفة.

الحاجة: الاحتياج إلى الغير، تحقيق الاكتفاء الذاتي للفرد والمجتمع.

الأمة: الجماعة وهي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع.

مشروعية الوقف: البر هو جماع الخير، وقيمة إيتاء المال على حبه لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهو اعتناق من قيود الحرص والشح والأثرة، وتحرر للروح من حب المال الذي يقبض الأيدي عن الإنفاق.

أخرج ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته)).

كان الوقف -وما يزال- عملاً خيراً تخصص منفعه لجهات البر، وقد عمل به المسلمون منذ عهد الرسالة إلى يومنا هذا، فكان ذلك إجماعاً منهم.

ولما كان الوقف عملاً من أعمال البر والخير، كان لابد من توظيفه في ضمان ما يحتاجه المجتمع من مصالح وهي عدة. وعند استقراءنا لمصارف أموال الوقف رأيناها قد بدأت: بتوفير احتياجات الفقراء والمساكين وأبناء السبيل من طعام وشراب وملبس ومسكن، ثم أخذت تتجاوز ذلك إلى تحقيق أهداف اجتماعية واسعة منها: إنشاء وإدامة المؤسسات العلمية والثقافية والطبية متمثلة بالجامعات ومعاهد العلم والمستشفيات وخدمة القائمين عليها وتيسير عمليات العلم والتعلم بتوفير الأجواء المناسبة كتوفير

المكتبات وخزائن الكتب، فنظرة الإسلام تتجاوز ذلك الواقع المادي للإنسان إلى الواقع الروحي والعقلي.

وسنستعرض بعضاً من تلك الصور المنقطعة النظير التي خلفت نتاجاً إنسانياً وعلمياً ضخماً ما زالت أنواره تضيء..

*** ثقافة الوقف: ثقافة الوقف طريق لوقف الثقافة:**

إن إعادة النظر في ثقافة الوقف يساهم بتشكيل نقلة نوعية في الذهنية الإسلامية، ورؤية خصيبة للفضاء الواسع الذي يمكن أن يمتد فيه الوقف، من حيث إعادة إقامته على قواعد مؤسسية رحبة تساهم بفتح أبواب الخير أمام شرائح عريضة من المسلمين كانوا يظنون أن الوقف حكر على طبقات معينة من الأغنياء، وفي ذلك ما فيه من تفويت لفرص المساهمة والمشاركة بفعل الخير على جماهير الأمة المسلمة. (كان السلف يوقف عرجونا من نخلة، ويمكن الآن تحييس مزرعة كاملة من النخيل).

إن فك قيود الحصار، وارتياح آفاق رحبة في مجالات الخير المتنوعة ومحاولة تأطيرها، يجعل من شريعة الوقف فعلاً اجتماعياً جماهيرياً، يتكافل فيه جميع أفراد الأمة، فبعضهم يوقف مالا، وآخر يوقف جهداً، وثالث يوقف خبرة، أو حقاً ثقافياً. وفي ذلك إفادة بالغة من جميع الطاقات المخترنة في الأمة، واستعادة فاعليتها وعافيتها، وتوسيع وظيفة المؤسسة الوقفية ضمن إطار الدور الحضاري والتنموي للمجتمع، وإيجاد ميادين وفرص عمل تستوعب الطاقات المتوفرة لضخها في مصب التنمية بكل شمولها، بعيداً عن التوثب والانفعال والحماس، الذي قد يستهلك الأوقات ويهدر طاقات الأمة في المواقع غير المجدية إضافة إلى ما يحققه استرداد دور الوقف في المجتمع، من تحقيق العدل الاجتماعي والتوازن الطبقي، والتنمية الاجتماعية، والتواصل بين الأجيال، والسعي المشترك لبناء المستقبل، والتحول من الحالة الاستهلاكية إلى بناء المؤسسة المنتجة، والتوجه بالوقف إلى مؤسسات الثقافة على شتى صورها من أجل بيان الإسلام الصحيح، والدخول في المشاركة العالمية، بدل استهلاك ثقافة الآخر، والقبول بالغزو الفكري، فالمطلوب دفع المستثمرين المسلمين وإقناعهم بضرورة إنشاء مؤسسات وقفية ثقافية عالمية تخاطب الآخر بشتى تياراته ومدارسه وضرورة إيجاد فتوى شرعية، تبين أن الوقف في هذه المؤسسات لا يقل عن الوقف في دور العبادة والمؤسسات الخيرية، بل قد يكون أعظم أجراً لما يلحق المسلمين من ضرر جراء تخلفنا وتراجعنا عن هذه المسؤولية العظيمة.

إنَّ المكتبة من الأموال المنقولة وهي وقف مشروع يجوز تحييسه كوقف غير المنقول مثل الأراضي والعقارات . فالمخطوطات والكتب حرص أسلافنا على توقيفها لتنتقل بين الأجيال فانتشرت المكتبات الموقوفة .

والهدف من الوقفية الثقافية نشر العلم والمعرفة والتشجيع على المطالعة والدراسة ، ويعتبر نظام الوقف العمود الفقري لمؤسسات الميدان الثقافي المدارس والمكتبات ومساكن الطلبة وهو الأساس في توفير رواتب المدرسين ومخصصات الطلاب . و إلى جانب التجار والأغنياء شارك العلماء في وقف أموالهم على الطلاب والمكتبات.

وتهدف المداخلة إلى: إحياء سنة الوقف

– إبراز دور ثقافة الوقف في العمل على مشاركة جميع أفراد الأمة في المساهمة بالوقف وعدم اقتصره على الأغنياء فقط.

– بيان أهمية إقناع المستثمرين بالتوجه إلى الوقف في المؤسسات الثقافية.

– أهمية مساهمة (جائزة الشيخ الوقفية) في تحفيز المشاركين على النشاط الثقافي (جائزة ابن عمير بمعهد العلوم الشرعية بعمان، وجائزة الشيخ علي آل ثاني بقطر).

والوقف مرفق خيري لتوفير الحاجات الاجتماعية والإنسانية، ناتج عن تبرع أصحاب ملكيات خاصة، لتكون ملكيات عامة (ذات نفع عام) في المجال الإنساني والاجتماعي بكل أبعاده، الثقافية، والصحية، والاقتصادية.

وتسعى ثقافة الوقف إلى إشاعة الحديث عن وظيفة الوقف بأبعاده المتعددة في الفعل الاجتماعي والإنساني. وقد وضع الإسلام لهذه الثقافة أسساً وأصولاً، منها أسس نفسية مثل:

الأخوة والعدل والرحمة والعفو والحب، والتي يترجمها الوقف لأفعال وثمرات، ومنها أسس وتشريعات فقهية من شروط وأحكام خاصة بالوقف.

فالوقف هو للغير سواء كان من الذات، أو من الأقارب، أو من غيرهم ، بل من غير الأرحام والمسلمين، بل تعدى الوقف إلى غير الإنسان.

وبعد وضوح الدور الايجابي للوقف في إثراء المسيرة العلمية نود تتبع ما لأمواله من آثار لا ينكر فضلها في توهج زوايا المجتمع المسلم بنور العلم والمعرفة ليشيع ذلك النور من بعد إلى المجتمع الإنساني.. ولا عجب في ذلك فقد رفع القرآن الكريم من شأن العلم والعلماء أبداً حيث ذكر العلم وما يشتق منه في عديد الآيات منها قوله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" وحث دائماً على طلب العلم وبذله قال تعالى: "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" ، وقال عليه الصلاة والسلام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

وما يؤكد اهتمام الإسلام بالعلم وضرورة نشره أنه بعد موقعة بدر طلب إلى الأسرى الذين لم يستطيعوا أن يفدوا أنفسهم بالمال أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة.

قال الشيخ باسة للطلبة المصعبين بجمرة:

(الله الله في زيادة العلم ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً لأن العلم كاد أن ينقرض من بلدانكم، ولأنّ الجهل مطية من ركبها ذلّ ومن صاحبها ضلّ، تعلموا العلم فإنّه عزّ لا يبلى جديده، وكثر لا يفنى مزیده، ... فعسى أن تحيوا لنا ما اندرس من العلوم وما انطمس من الرسوم).

فحركة العلم والثقافة ظهرت براعمها في المساجد أولاً، ثم امتدت لتأخذ المدارس والجامعات ودور العلم وخزائن الكتب دورها في نشر العلم والثقافة بفضل ما أوقف عليها من أموال وكتب..

لقد سارع الأغنياء والعلماء والأمراء إلى تأسيس دور الكتب ووقف الكتب والأموال عليها لتنميتها واستمرارها والإنفاق على المستحقين لإثراء المسيرة الثقافية. وكان الواقف يعطي الطلاب الغرباء الورق والورق.

وبمثل الوقف قمة النهضة العلمية والثقافية والفكرية العربية الإسلامية على امتداد القرون الماضية، حيث كان بما أنفق من ريعه على رعاية طلاب العلم وإنشاء المدارس والمكتبات العامة والبحوث العلمية، مصدراً لتمويل المسيرة العلمية الإسلامية وإتاحة المعرفة لطلابها.

وللوقف أثر عظيم في بناء الحركة التعليمية والثقافية في المجتمعات الإسلامية بما أسهم به من:

- تشييد المدارس وتعيين المعلمين والإنفاق على طلبة العلم.
- الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.

- العناية بتوفير مصادر المعلومات (المكتبات العامة) في المدارس والمساجد والربط (والمكتبات المخصصة).

وقد كان للوقف أثر في توفير المدارس التي تستوعب حاجة طلاب العلم، وإكسابها صفة الدوام والاستمرار والاستقلال عن توجهات الواقف نفسه ومدة حياته.

إن العملية التعليمية حظيت بنصيب وافر من الوقف عليها.

ويلاحظ التنوع الكبير في فئات وطبقات الواقفين على العلم والتعليم حيث كان منهم الرجال والنساء والأمراء والحكام والعلماء والتجار بل والعامة من الناس، وهو الأمر الذي يفصح عن إدراك الكافة لقيمة العلم والتعليم.

فالوقف على المدارس قد تجاوز مجرد التشييد والبناء إلى توفير متطلبات واحتياجات الطلاب والمدارس من معلمين وأدوات التعليم وإجراء الأموال على المعلمين والطلاب إما في صورة عينية أو في صورة نقدية.

إن الوقف بما يتمتع به قد ضمن بقاء واستمرار هذه المدارس لأطول مدة زمنية ممكنة. وهو باعتباره من أعمال البر المتجددة قد ضمن الزيادة العددية للمدارس بتزايد الحاجة إليها وتنافس الواقفين على أعمال البر والخير.

ولم يقتصر الدور الحضاري للوقف في نشر العلم على إنشاء ورعاية الأبنية التعليمية (المدارس والكتاتيب وزوايا العلم وحلقات الدرس) بل امتد ليشمل وقف الكتب على تلك الأبنية ، بل المكتبات الكاملة وتؤكد المصادر التاريخية أن وقف الكتب كان الأساس الذي قامت عليه المكتبة العربية والإسلامية ، وقد كان لوقف الكتب مظهران هما:

- إما شراء الواقف لبعض كتب العلم فرادى أو مجموعات ووقفها على أحد الأبنية التعليمية.

- وإما أن يوقف أحد العلماء مكتبته الخاصة وتراثه العلمي على طلاب العلم عامة أو على أحد المعاهد العلمية وقد امتد وقف الكتب والمكتبات ليشمل جميع العلوم الإنسانية والتطبيقية من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وطب وغيرها.

وإلى جانب المكتبات الوقفية المستقلة فقد تم وقف الكتب كذلك على مكتبات أشهر الجوامع والمدارس في عديد البلدان الإسلامية إلا أنه يلاحظ أن جل ما وقف على الجوامع والمساجد من كتب كان في مجال علوم الدين فقط ، وفي مقدمتها المصحف الشريف وكتب التفسير وعلوم القرآن، والحديث الشريف وعلومه والفقه وأصوله ، إلى جانب اللغة العربية وآدابها.

وهكذا أدى الوقف دورا حضاريا بالغ الأثر في الحفاظ على الهوية والثقافة العربية الإسلامية؛ باهتمامه بروافد ومصادر العلم ونعني بها المدارس والكتب والمكتبات؛ حيث كان الوقف يشكل بالنسبة لهذه الروافد العمود الفقري والمورد المالي الذي لا ينضب معينه.

لأنّ العلم والأدب خير من كنوز الفضة والذهب.

***الوقف الثقافي :**

قراءة تاريخية لأوقاف السلف الجري على المصعبين :

اشترك في الوقف على المصعبين تجار وعلماء جرييون وحفظت المصادر أسماء المؤلفين والنساخ والكتب والواقفين والموقوف عليهم ومكان الوقف وهذه بعض النماذج :

* من فهرس الخزانة العامة

– 017 باب التأويل في معاني التزويل الخازن ك 02.

– الواقف: صالح عوالة على طلبة العلم من بني مصعب بشرط وضعه بيد أمين جامع الشيخ سعيد الجري بغرداية وعدم نقله إلى بلد أخرى.

* من فهرس الخزائن الثلاث:

– 06 باب التأويل للخازن شص 01 نسخ يوسف الصمادي نص التوقيف بخط الشيخ التلاقي، الواقف الحاج صالح عوالة على طلبة العلم من بني مصعب بجامع ش سعيد الجري بغرداية.

– 313 الدعائم لابن النظر شص 12 نسخ علي الشماخي للحاج عمر بن أحمد عوالة توقيف الكتاب على المصعبين بجامع ش سعيد الجري بغرداية.

– 06 الترتيب من الصحيح من حديث رسول الله أبو يعقوب الوارجلاني 39 نسخ ويران بن عمر للحاج عمر بن أحمد عوالة

* من فهرس خزانة أبي بكر بن مسعود الغرداوي :

المجموع موقوف على علماء وطلبة بني مصعب وشرط عوالة حلوله بجامع سعيد الجري بغرداية كتاب أصول الدين للملشوطي رقم 20 بابكر 29 .

نسخة ثانية من أصول الدين للملشوطي بنسخ صالح بن عثمان بن حريز بوكالة الجاموس أوقفه عوالة على جامع سعيد الجري رقم 21 بابكر 33.

كتاب الأحكام للجناوي بنسخ صالح بن حريز أوقفه عوالة على طلبة العلم من بني مصعب بنفس الشروط ونص الوقف بخط التلاقي برقم 55 بابكر 33

كتاب أصول الدينونة الصافية لمعروس أوقفه عوالة بنفس الشروط برقم 57 بابكر 29

نسخة ثانية من الكتاب بنسخ بن حريز بالوكالة وقف عوالة نفس الشرط رقم 58 بابكر 33

كتاب الإيضاح (الشفعة، الهبة، الوصايا) كلها بنسخ بن حريز ووقف عوالة بنفس الشروط وخط التلاقي ، بأرقام 61 و62 و63 بابكر 33 .

جواب إلى العزاي زكرياء الهواري ليحيى أولاد هارون وقف عوالة بنفس الشرط رقم 70 بابكر 29 .

حاشية أبي ستة على النكاح للجناوي وقف عوالة بنفس الشرط رقم 91 بابكر 29

حاشية الويراني على النكاح للجناوي وقف عوالة بنفس الشرط رقم 92 بابكر 29

كتاب الديوان (الطهارات) للأشياخ بنسخ بن حريز بالوكالة ، وقف عوالة بنفس الشرط رقم 104 بابكر 33

كتاب الصوم للجناوي بنسخ بن حريز وقف عوالة بنفس الشرط رقم 111 بابكر 33

مقتطفات من كتاب المعلقات لمجهول إياضي بنسخ بن حريز وقف عوالة بنفس الشرط رقم 129 بابكر 33

النكاح للجناوي وقف عوالة بنفس الشرط رقم 130 بابكر 29

من فهرس لخبورات :

أوقف الحاج عمر بن أحمد عوالة ما نسخ له ويران بن سليمان من (ترتيب مسند الربيع) 1152هـ / وهو غير صالح عوالة الواقف الشهير

من فهرس خزانة بابكر

شرح ألفية ابن مالك للمرادي وقف على طلبة العلم بجامع سعيد الجري بخط التلاقي رقم 148 بابكر
13 .

كتاب تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية للرازي وقف بخط التلاقي على جامع سعيد
الجري رقم 180 بابكر 36

شرح السلم المرونق في علم المنطق لقدورة وقف بخط التلاقي على جامع سعيد الجري رقم 196 بابكر
36

كتاب المطلع للأنصاري وقف على طلبة العلم بجامع سعيد الجري بخط التلاقي رقم 201 بابكر 36
من خزانة دار التعليم:

65 كتاب رفع التراخي في مختصر الشماخي للتلاقي مع 21

منسوخة بخط المؤلف وقفها على طلبة العلم المصعبين بغرداية

108 اللآلي الميمونية على المنظومة النونية للتلاقي م 25 نسخ المؤلف وقفه على نفسه وبعده على

طلبة العلم المصعبين

305 السير للشماخي دغ 195 د نا ، الواقف صالح عوالة الآجيمي الجري على طلبة العلم بجامع
عمي سعيد بغرداية .

354 كشف الأسرار عن علم حروف الغبار للقلصادي م 70 ، د نا ، وقف الحاج صالح عوالة على

طلبة بني مصعب ، ونصه بخط التلاقي

533 ديوان التلاقي م 20

يتنوع الوقف على المكتبات: فقد يتولى المؤلف وقف كتابه فيكتب نص الوقف على أول ورقة من
مصنّفه أو آخر ورقة ، وقد يتبرع الناسخ بنسخة للمكتبة ، وقد يشتري تاجر كتباً يسبّلها على مكتبة .

العلامة الفقيه الأديب بدر الدين أبو حفص الشيخ عمرو بن رمضان التلاقي الجري:

ولد عمرو بحومة ثلاث جربة - وإليها تنسب أسرة التلاقي - وتلقى العلم قبل مغادرته الجزيرة على

الشيخ أبي الربيع سليمان الحيلاتي، ثم سافر إلى مصر مع عائلة الغول (هي من قلالة) دون أن يعلم
أهله، مخافة أن يعترضوا على سفره. وبعد استقراره بمصر، بدأ بحضور حلقة الشيخ محمد بن قاسم البلاز
حيث صرح بذلك بنفسه: ((والذي سمعته من شيخي محمد بن قاسم البلاز...)) . ثم تولى التدريس بعد

ذلك بمدرسة وكالة الجاموس بطولون، وبين تلاميذه نجد علي بن يوسف المصعبي، ورمضان بن أحمد الغول الجري، ويحيى بن صالح الأفضلي الميزابي، وسليمان بن أحمد بن سعيد بن أحمد الجزار الذي كان ينسخ لشيخه التلاقي عديد الحواشي. كما تشير بعض المصادر إلى أنه كان يتطوع بإلقاء دروس في الأزهر الشريف¹. وكان كثير الشكوى من الفقر، وبقي أعزب لم يتزوج،

وإلى جانب التدريس وإقامة الحلقات، نبغ التلاقي في التأليف فأكثر ويحيل على مصادر كثيرة تؤكد وجودها في مكتبة الوكالة فهي تحت تصرفه وقد أفادت الحركة العلمية بمصر وكذلك في جربة بعد نسخها وأخذها إلى الجزيرة ووقفها على المصعبيين². واللافت للنظر أن نظام الوقف تدخل في توفير تلك الكتب ودعم حركة النسخ دون مدد من سلطة حاكمة بل بمجهودات أفراد الجماعة من علماء وأغنياء وقفوا أموالهم وعلمهم على سكان الوكالة. خلف التلاقي تراثا ضخما نذكر أهم ما أشارت إليه المصادر المطبوع منه أو المخطوط، والموجود منه أو المفقود:

أ - كتاب (مقدمة التوحيد) وقد شرحها ثلاث مرات بصفة مطولة ومتوسطة ومختصرة: (نظم التحقيق في عقود التعليق) مطول، (العقد النضيد على نكتة التوحيد) وسط، (عمدة المريد لنكتة التوحيد) مختصر. ب - (اللؤلؤة المضيئة على متن العقيدة) وهو مخطوط. ت - خلاصة من نزهة (تحفة) الأديب وريحانة اللبيب) وهو في الأدب والأخلاق. ث - كتاب رفع التراخي على مختصر الشماخي في أصول الفقه. ج - اللآلي الميمونية على المنظومة التونية شرح لقصيدة أبي نصر التي مطلعها:

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وخيف والسهولة والحزن

ح - الأزهار الرياضية على المنظومة الرائية شرح قصيدة أبي نصر التي مطلعها: سما من سما بالجد والعزم والصبر وسهر الليالي والسرى والتهجر

خ - شرح أصول الدين حوى الإيضاح والتبيين (مطول كما يوحى عنوانه).

د - مرآة الناظرين في أصول الدين (هو عنوان وضعه مؤلفو معجم أعلام الإباضية لنفس الكتاب السابق). ذ - نخبة المتين شرح أصول الدين

ر - روضة المشتاق وزهرة الإشراف مخطوط (في الأدب والاجتماع).

ز - الفتح المبين في القول المتين.

س - حاشية اللآلي المنظومات في عقد الديانات لعامر الشماخي.

ش - شرح تبين أفعال العباد لأحمد بن محمد بن بكر الفرستائي.

ص - كتاب الجملة وتفسيرها. ض - كتاب التحف.

ط - تعليقات على شباك بن هائم في المناسخات من الفرائض.

ظ - إعراب المنظومة الخزرجية في النحو (مخطوط).

ع - حاشية على شرح الرسالة العضدية في آداب المناظرة (مخطوط).

غ - ديوان شعر التلاقي (أربعة وعشرون ألف بيت)

ف - كتاب الفتح المبين بالمقوال المتين، (مخطوط دار الكتب المصرية رقم 22661 ب، 113هـ/1944م).

ق - نتيجة الأفكار في تعليق عقيدة الأبرار (مخطوط بمكتبة آل يدر)

وقد مدحه الشيخ الثميني مشيرا إلى شهرته بمصر وتدريسه بالأزهر :

إذا ما بدا عمرو به قام واستوى لدى الدرس خلت النيل في مصر طاميا

كفى مصر فضلا كون عمرو ونيلها لها ؟! لأخوين الحائزين المعاليا

هنيئا لكم يا أهل مصر بأن غدا لكم منهلين العمرو والنيل جاريا

وأنّ لكم بدرين :بدرا بأرضكم وبدرا علاكم في السماوات عاليا

كان الشيخ التلاقي شديد التواضع عند الإشارة إلى نفسه في آخر تأليفه حيث يقول: (تأليف العاجز الفقير، أو في أول مصنفه: يقول راجي عفو ربه الجليل، عمرو التلاقي الذليل، أو يصف نفسه بأنه أسير الذنوب والأوزار. بينما يخلع عليه تلاميذه ومحبه ألقابا مشرفة مثل: الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد الأفاضل الشيخ زين الدين عمرو بن رمضان التلاقي الجري، أو الإمام المدقق الهمام المحقق، عمدة

المجتهدين، لأنه كان آية في جميع الفنون من علم المعقول والمنقول. توفي سنة 1187هـ/1773م ودفن بالقرافة بجوار قبر الشافعي بالقاهرة.

المؤلف	الناسخ	الواقف	الموقوف عليه	ملاحظ
الخازن	يوسف الصمادي	صالح عوالة	طلبة العلم المصعبين	
أحمد بن النظر	علي بن يوسف الشما	عمر بن أحمد عو	المصعبين غرداية	
أبو يعقوب الوارجلاني	ويران بن عمر بن ويرا	عمر بن أحمد عو	غير مذكور	
عيسى الملقوطي	يحيى القناص اليفري	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
عيسى الملقوطي	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
يحيى الجناوني	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
عمروس بن فتح	يحيى القناص اليفري	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
عمروس بن فتح	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
عامر الشماخي	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	بني مصعب غرداية	
عامر الشماخي	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	بني مصعب غرداية	
عامر الشماخي	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	بني مصعب غرداية	
يحيى أولاد هارون	أبو القاسم التندميرتي	صالح عوالة	بني مصعب غرداية	
أحمد الشماخي	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	بني مصعب غرداية	
أحمد الشماخي	دون ناسخ	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
الحشي محمد بن عمر بن أبي	يحيى القناص اليفري	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
عمر الويراني	يحيى القناص اليفري	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
الأشياخ	صلح بن عثمان بن حر	عمر بن أحمد عو	علماء وطلبة العلم المصعبين	
يحيى الجناوني	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
مجهول	صلح بن عثمان بن حر	غير مذكور	طلبة العلم المصعبين	
مجهول	صلح بن عثمان بن حر	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
يحيى الجناوني	يحيى القناص اليفري	صالح عوالة	علماء وطلبة العلم المصعبين	
حسن المرادي	دون ناسخ	غير محدد	طلبة العلم المصعبين	
محمد الرازي	دون ناسخ	غير محدد	جامع ش سعيد الجربي	
سعيد الجزائري	دون ناسخ	غير محدد	جامع ش سعيد الجربي	
زكرياء الأنصاري	الديب غي	غير محدد	طلبة العلم المصعبين	
عمرو رمضان التلاقي	عمرو التلاقي	عمرو التلاقي	طلبة العلم المصعبين	
عمرو رمضان التلاقي	عمرو التلاقي	عمرو التلاقي	طلبة العلم غرداية	
عمرو رمضان التلاقي	عمرو التلاقي	عمرو التلاقي	طلبة العلم غرداية	
القلصادي الأندلسي	دون ناسخ	صالح عوالة	طلبة العلم غرداية	
الخازن	دون ناسخ	صالح عوالة	طلبة العلم غرداية	

إن الأمة الحريصة على إحياء تراثها، والمحافظة على أصالتها، تداوم قراءة مخطوطاتها، وتنشر تراثها عبر المسالك الحضارية كالتجارة والبعثات العلمية، ولقد حفلت دور الكتب في العالم الإسلامي وفي أوروبا بآلاف المخطوطات المتنوعة في كل فن. و زحرت بالذخائر مخطوطة ومطبوعة. إن قافلة الواقفين تسير وبركاتها تتوالى وقد يتصور البعض أن التبرع بكتاب أمر ميسور لكنه السهل الممتنع، خاصة في تلك البيئة من الاغتراب وفرط الحاجة إلى غذاء الأبدان قبل الأرواح والعقول.

الوقف على البحث العلمي : بسداد التكاليف المادية إنفاقا وتشجيعا للباحث ودعمًا سخيا للعلماء بتوفير راحة نفسية وأمن اجتماعي واستقرار معيشي ليفكروا ويبدعوا. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (جمعت من فوائد كان من الكتب الموقوفة التي استعرقها ، كانت سهلة التناول لا يفارق منها منزلي 200 مجلد وأكثرها بغير رهن تكون قيمتها 200 دينار فأرتع بها وأقتبس)

خدمات طبية علاجية : تطوع جمع من الدكاترة الميزابيين لفحص المرضى بمواعيد مضبوطة مسبقا وتوزيع الأدوية .

- مشروح طموح ينتظر التحقيق والإنجاز ؟! مطبعة ودراسات عليا .

قدّم الشيخ سعيد بن قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان بن محمد الشماخي (الحفيد) الجربي هذا المقترح وعرضه على الشيخ إبراهيم بن بكير حفار الميزابي طلبا للمساعدة وتوسيعا لدائرة الشورى وإقناعا بالحاجة الملحة لتجسيد هذا المشروع الطموح والقابل للإنجاز رافعا شعار ك (فاز من حياته إنجاز) و (اترك بصمتك) .

نموذج لمقترح تأسيس مطبعة وإحداث برنامج دراسات عليا:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله حمدا وصلاة وسلاما
هذا نص جواب من بعض أفاضل مصر

من عبد الله سعيد بن قاسم الشماخي (الحفيد) العامري الحنفي دينا ومذهبا الإباضي تميزا بمصر القاهرة بالعباسية شارع كمال عدد 8 إلى السيد الفهامة العالم الأجل شيخنا الفقيه الشيخ إبراهيم بن بكير سلمه الله تعالى... إن شاء الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونعمائه وفيوضاته. أما بعد شكر

ذي الجلال والإكرام على ما أنعم وتكرم من نعمة الإيمان والعافية واليقين. فإني أتعرف إليكم من العصبتين الدينية المذهبية والجنسية الغربية وأستعيد صلة التواصل التي كان عليه السلف الصالح عليهم رحمة الله ورضوانه وقد كنا معشر الإباضية إلى عهد قريب مثلاً من أمثلة العصابة أولى القوة في جدة رابطتنا وركيز اتحادنا وتضامننا وإنا كذلك إن شاء الله تعالى نؤيد دينه ونعالي كلمته مستمدين منه سبحانه المعونة والتوفيق...

وقد من الله علينا بوجود أهل العلم الأجلاء الذين تدحض حججهم مفتريات الأفاكين وتقطع على المتخرصين نياط قلوبهم فما بالنا لا نعمل على نشر دين الحق وتثبيت قواعد العلم الصحيح في قلوب الضعفاء. لم لا نطبع كتبنا المخزونة فيستفيد الناس من معارفنا وعلومنا ونستفيد نحن بالتوسع في الاطلاع على آراء أئمتنا وعلمائنا واكتساب ثواب الله بهذا العمل النافع مع أن هناك كسب دنيوي وأخروي أما وقد عزمتم بمشيئة الله وتوفيقه ومؤازرة السادات الإباضية على إقامة (دار الطباعة) الإباضية بمصر القاهرة يخصص ربعها للإنفاق على طلبة العلم الإباضيين بنسبة الربع الذي تنتجه دار الطباعة وكلما آنسنا من فريق من الطلبة كفاءة ترشحه للعمل والانتفاع به أرجعناه إلى بلاده واستبدلناه بغيره عدا ذلك لتسهيل أمر الحج لإخواننا المشاركة والمغاربة فيفدون إلى مصر قبل أيام الموسم يمكنون بها ما شاء الله لهم فيروا حركة العمران من متاجر ومصانع وينقلونها لبلادهم عند عودتهم وفي هذا التزاور من جليل الفوائد ما لا يخفى عليكم. وأما العلوم التي يتعلمها الطلبة فهي عدا العلوم الدينية علوم اللغة العربية وفروعها من صرف ونحو وبلاغة وبيان وبديع والعلوم الصناعية والهندسة المعمارية والزراعية وعلم التجارة وما يخصه من حركة الأسواق الخ. وقد استخرت الله تعالى على القيام برحلة أزور فيها أقاليم الإباضية وقد كتبت أستنهض هممكم لتنفيذ هذه الرحلة والمبادرة لتحقيق هذه الأمنية التي أرجو الله تعالى أن يكون فيها الخير لنا. وإني أقترح عليكم تشكيل لجنة لدى هذا المشروع وإفادتي عن آرائكم مع العلم أن نشاطي لهذا المشروع النافع إنما هو جعل مصر القاهرة مركز التفاهم للإخوان في الله الإباضيين في سائر الأقطار ولأنها مركز صلات العالم ببعضه وأهم بقعة من بقع الإسلام من حيث مركزها الجغرافي وبخلاف هذا فإن القوم قائمون بحركة عانية دينية الغاية منها حصر الدين في الأربعة مذاهب مع أن لنا من أنصارنا من علماء القوم بمصر ما يساعدنا على نشر دين الحق لولا تعذر وجود المادة ودار الطباعة هذا هو مشروعي أعرضه عليكم مصداقاً لقوله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾ الآية وثقتي إن شاء الله أن تعاونوني على تنفيذ المشروع الذي ستعم فائدته إن شاء الله وإني في انتظار إلى مكاتبتكم والخير أردت. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وسلامنا وتحياتنا والطلبة لجميعكم

سيما الشيخ الحاج عمر والشيخ هو والشيخ صالح بن علي بن داود وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سعيد. توقيع.

نقل في أواخر دي القعدة عام 1348هـ / يوافق يوم 15 أوت سنة 1927.

لا أستاذية لأمة لا تستطيع تبليغ دعوتها عن طريق الكلمة مسموعة أو مقروءة أو مرئية إلا بشراء آلاتها من الغير فلا تصنع مطبعة ولا جهاز بث أو إرسال .

* حاجة الأمة إلى الوقف الثقافي :

غذت أموال الأوقاف الحضارة الإنسانية وقدمت لها خدمات جليلة لا يبخس أثرها فلا فقر ولا جوع ولا جهل ولا مرض ، ولأنّ الكرامة الإنسانية لا تكفلها لقيمات الخبز ولا كسوة صيف وشتاء فقط ، فقد تفتن الواقفون إلى استثمار مال الوقف وموارده لتغذية العقل والروح إلى جانب قوّة الجسد . إن مداد العلماء يفضل دماء الشهداء ولا يقل الوقف على المؤسسة الثقافية أجراً وقيمة عن الوقف على دور العبادة أو المراكز الصحية والرعاية الاجتماعية . لأن تغلغل العلم في جميع طبقات المجتمع ذكورا وإناثا ، يرفع مستوى الوعي لدى الجميع فتصير خزائن الكتب قبلة لطلاب المعرفة يقصدون أبوابها المشرعة وتنشط الحركة العلمية والترجمة والمطالعة والاستنساخ والطباعة ، ويشترك في الوقف أفراد الأمة ولا يقتصر على الأثرياء والأعيان فقط . إنّ الوقف نظام ارتبط ، منذ فجر الإسلام ، بمجموعة من المؤسسات الاجتماعية والخيرية التي كانت رافداً هاماً في الحياة ، سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو الأمة .

وإن شبكات الصيد التبشيري والغزو التغريبي لا يقابلها سوى أموال الوقف الثقافي الإسلامي والمتتبع لمسيرة المجتمعات الإسلامية في التاريخ المعاصر ، يلاحظ أن تحولاً جذرياً أصاب مؤسسة الوقف ، فبعد أن كانت مؤسسة أهلية ذات درجة عالية من الاستقلال الإداري والمالي والوظيفي ، ارتبطت بها مهام اجتماعية واقتصادية متعددة كالتعليم والصحة والمساجد وغير ذلك ، أصبحت مؤسسة الوقف مؤسسة حكومية تحكمها أنظمة وسياسات الحكومات وخططها . وبالتالي فقدت هذه المؤسسة توهجها ودورها والتفاف الناس حولها ، وفقدت المجتمعات الإسلامية ذلك النسيج من العلاقات الإنسانية التكافلية التي ربطت بين الدنيا والآخرة في إطار رائع من الحب والتعاون المدفوع بالرغبة فيما عند الله تعالى ، من نعيم لا ينفد .

كان الراغبون في العلم يسعون إلى منازل وبيوت الشيوخ والعلماء للسماع منهم ، أضف إلى ذلك المسجد الذي كان دائماً مكاناً للعبادة و العلم . و تعتبر هذه المؤسسات الوقفية (المسجد ، الكتاب ، المدرسة ، المكتبات ، الزاوية ، الرباط ، البيمارستان) مراكز للتنمية الثقافية : فالمساجد والجوامع تسابق الواقفون على بنائها وتجهيزها وصيانتها ، وانطلق منها الإشعاع الفكري والمعرفي في طول البلاد وعرضها ، ومثل الأزهر الشريف نموذج (الجامع الجامعة) الذي يؤمه طلاب من مختلف الأقطار ويحصلون على السكن والمؤونة مجانا ، كما تتوفر لهم خزانات الكتب المخطوطة والمطبوعة . كما أنشأت

الأوقاف مدارس وكتاتيب لتعليم القرآن الكريم، ومكتبات حافلة، وأعطت الطلاب منحة مجزية فأقبلوا على الدرس والتحصيل وتوزعوا في الإجازات في بلدانهم، يعلمون الأهالي ما تلقوه في الحلقات، فانتشرت الثقافة في كل المستويات، وقامت الزاوية بتأمين الجانب الروحي لمرتاديها، يخلص للعبادة ويحصل الأدب النافع والعلم الغزير، وفي المغرب تؤدي الزاوية مهام متعددة كالتعليم وإيواء الطلاب الغرباء وحلقة للذكر ومكان تجمع لتقبل قهاني الأفراح أو التعازي ومأوى للوافدين والذهابين للحج، وهي بمثابة الفندق في عصرنا: تقدم وجبة الأكل والسكن لكنها مفتوحة للجميع ولأي فترة وبدون حجز مسبق ولا دفع لمصاريف ورسوم. بينما تكفل الرباط بتدريب أفراد عسكريا بعد تربيتهم دينيا وتأهيلهم علميا، فيتولون حراسة الثغور وتعليم من يفد عليهم، مع المواظبة على الأذكار وحسب ترتيب الشيخ.

أما البيمارستان فبجانب الخدمات الصحية التي يقدمها فقد جعل منه الواقف مؤسسة علمية للطب والصيدلة والتثقيف الصحي. وقد راهن الواقفون على التنمية الثقافية لأنها ترفع مستوى الأمة، وتحقق للمدرس استقلاله فلا يخضع إلا لسلطان الشريعة ويحافظ على عديد القيم الإسلامية. وبرعاية مؤسسة الوقف لهذه المراكز يسرت العلم للراغب فيه دون نفقة، وشجعت على نسخ المخطوط وصيانتها، وعممت الثقافة في القرية والمدينة، وضمت صرف الرواتب للمدرسين والمرابطين حتى يستمر عطاؤهم متدفقا مدرارا.

قال الشيخ أبو اليقظان إبراهيم : ((وعلى هذا الحبس القديم كانت تعتمد الأمة الإباضية في مقاومة الجهل ومحاربة الأمية، ونشر الدين الإسلامي، وبث العلوم بين طبقات الشعب، وتربية العامة تربية أخلاقية اجتماعية.

وعلى ريع تلك الأوقاف كان يعتمد بالخصوص في النفقات على الأيتام والفقراء الذين يطلبون العلم ولا معين لهم إلا الله، وبذلك الأوقاف كان يحفظ القرآن كل سنة عدد كبير من أبناء الأمة ، لقد كان الوقف في حياة الأمة مؤثرا وإيجابيا في مجال التعليم الذي عرف نموا وتطورا مستمرا فقد آمن للمدارس الاكتفاء المالي.

ورافق النشاط العلمي اهتمام بجمع الكتب وبقائها والحفاظ عليها، وتنافس الأمراء والعلماء في تكوين المكتبات الخاصة والعامة وسارع الأغنياء إلى وقف الكتب على طلبة العلم، وراجت تجارة الكتب وكان لها دلالوها.

إن الأمة الحريصة على إحياء تراثها، والمحافظة على أصالتها، تداوم قراءة مخطوطاتها، وتنشر تراثها عبر المسالك الحضارية كالتجارة والبعثات العلمية، ولقد حفلت دور الكتب في العالم الإسلامي وفي أوروبا بآلاف المخطوطات المتنوعة في كل فن. ورغم أن المكتبة مؤسسة تعليمية تقليدية تلقن الحواشي والمتون والزوائد، لكنها تزخر بالذخائر مخطوطة ومطبوعة. إن قافلة الواقفين تسير وبركاتها تتوالى وقد يتصور البعض أن التبرع بكتاب أمر ميسور لكنه السهل الممتنع، خاصة في بيئة من الاغتراب وفرط الحاجة إلى غذاء الأبدان قبل الأرواح والعقول.

وتوجد عدة مكتبات أغلبها ملحق بالمساجد بقيت بعضها مفتوحة يرتادها الطلبة وتعرض بعضها إلى الإهمال فتناقصت محتوياتها. وقد استطاع الإباضية أن يحافظوا على مكتبات عديدة صيانة للموجود وإضافة للمفقود ونسخا للنادر وشراء للجديد وتزويدا بآخر ما صدر من تراث إباضي في أي موطن لهم.

فقد وفر الأغنياء الخزانات واختار العلماء عناوين الكتب وشارك المقتدر في وقف المؤلفات الإباضية وغيرها من المصادر النافعة لطالب العلم. وكان للأعيان من التجار الفضل والسبق في توظيف ثرواتهم في شراء الكتب وتوقيفها وكان منهم علماء يحسنون انتقاء المراجع التي يحتاجها الطلبة فيسارعون بتوفيرها دون عناء ليستغني الطالب عن السؤال ولا يحرم من حاجته إلى المخطوط النادر أو الكتاب النفيس. ولعل أحسن ما قاله محمد محفوظ في مكتبة الوكالة العامرة: "وكان بالقاهرة مقر يأوي إليه الطلبة الإباضيون وهو المعروف بوكالة الجاموس قرب جامع ابن طولون وهو يشتمل على مساكن للطلبة ومخازن تكرر للتجار يكون دخلها لفائدة الفقراء من الطلبة، وأهم ما كان يشتمل عليه هذا المركز المكتبة النفيسة الزاخرة بالمخطوطات النادرة، وكان الحشي يهتم اهتماما كبيرا بهذه المكتبة، ويوجه الطلبة إلى الاستفادة منها زيادة على الدروس الخاصة التي كان يلقيها عليهم خصوصا فيما يتعلق بالمذهب الإباضي الذي لا يجدون له مكانا بين الدروس الرسمية بالأزهر، وبقيت وكالة الجاموس تلعب دورا هاما في توجيه الطلبة الإباضية بالقاهرة مدة قرون متوالية. وحافظ السلف على نظافتها وصانوا

مكتبتها وبذلوا في توفير الخزائن والكتب المال الوفير. ويسروا الحصول على الكتاب في زمن لم تزل فيه الطباعة غير منتشرة، وجدّ مكلفة، وشجعوا على النسخ بخط اليد وعلى حفظ وصيانة المخطوط.

لا تشير المصادر أن مكتبة أوصدت أبوابها أمام أحد المرتادين لكن عدم اشتهاار المبني كمكتبة قد يقلل من عدد المستفيدين منها، ويقتصر ارتيادها على الطلاب العارفين بأنها وقف يضم أمهات الكتب في مختلف الفنون.

ولم يقتصر الوقف على كتب المذهب بل تجاوزه ليشمل المراجع من مختلف الفنون، فخزائن المكتبة عامرة بالمطبوعات والمخطوطات في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والسيرة واللغة وباستعراض قائمة الكتب يلاحظ تنوع المراجع الموقوفة وشمولها للقديم المخطوط وللحديث المطبوع مواكبة للإصدار الجديد، وتوفيرا للتراث المحقق، وقائمة الكتب الموقوفة طويلة .

إن حياة الفرد مهما طالت محدودة ، وتصرفاته في ثروته بالتبرع تكسبه خلودا يتجاوز دنياء، قال عليه السلام (إنه مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره، أو ولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لأبناء السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته)

و الحضارة التي أنشأها الوقف فخر خالد متجدد، شملت الميادين الفكرية والمادية، الإنتاجية منها والخدمية، الضرورية منها والتحسينية، وكان العلماء- الذين نالوا بالوقف استقلاليتهم - هم الحراس على قيام الوقف بتمويل إقامة الدين وصنع الحضارة.

وصدق جلال الدين السيوطي في أبياته المشيدة بالوقف حيث قال:

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ لَيْسَ يَجْزِي	عَلَيْهِ مِنْ فَعَالٍ غَيْرِ عَشْرٍ
عُلُومٌ بَثَّهَا وَدَعَاءُ نَجْلٍ	وْغَرْسُ نَخْلٍ وَاصْدَقَاتُ تَجْرِي
وَرَاثَةُ مَصْحَفٍ وَرِبَاطُ ثَغْرِ	وَحَفَرُ الْبُئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرٍ
وَبَيْتٌ لِلْغَرِيبِ بَنَاهُ يَأْوِي	إِلَيْهِ أَوْ بِنَاءُ مَحَلٍّ ذَكَرُ

ولهذا السبب لم تكن هناك نفقات معينة تبذل في سبيل نشر العلوم والمعارف ، فلما ظهرت الحاجة إلى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ونشر الثقافة ، ظهرت في الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هذه المؤسسة الثقافية التعليمية ، وقف يُنتج إيراداً يكفي للإنفاق على شؤونه أو شؤون القائمين بالعمل فيها .

وقد هياً الوقف للعلماء رزقاً سخياً يتقاضونه من حبس ثابت يفيض ريعه علي التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية التعليمية . وانتشرت الفكرة فأصبح من ضروريات إنشاء معهد أو مدرسة أن يعين لها حبس ثابت ، تتلقى منه ما يفي بنفقاتها ، وما يمدها بما تحتاج من مصروفات . ثم تطور هذا الاتجاه الإيجابي ، فظهرت الأوقاف أيضاً على الذين يشغلون أنفسهم بخدمة العلم و التعليم والثقافة في المساجد ، بل إن بعض الأركان أو الأعمدة بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها لمن يجلس بها للتدريس والتعليم . ولهذه المدارس أوقاف عظيمة ، وعقارات واسعة للإنفاق على الفقهاء والمدرسين بها ، و على الطلبة.

أما ما خصص من المال لرعاية الشؤون الثقافية على العموم وكذلك ريع الأوقاف المعينة للمدارس فالريع كان كافياً لمرتبات الشيوخ ولما يدفع للطلبة ، وكان يشمل مؤونة طعامهم وملابسهم وفرشهم ، وغير ذلك من ضرورات معاشهم حتى نبغ فيها جمع من الفقهاء الأفاضل ممن لا يحصون عددا .

إن خدمات المكتبة الوقفية لا تقتصر على توفير الكتب فقط بل إيجاد قاعة للمطالعة وهيئة أدوات النسخ والتصوير و الإضاءة وضمان السكن والإعاشة للإطار العامل ، سواء في بناء مستقل أو داخل مؤسسة تعليمية أو في ناد ثقافي أو ملحق بمسجد أو مستشفى أو منزل غني .

نموذج مكتبة موقوفة:

خزانة جامع الشيخ سعيد الجري بغرداية ، والكتب الموقوفة فيها هي: مصاحف ومخطوطات وكتب مطبوعة في مختلف المواضيع : فقه ، عقيدة ، قرآن ، سنة ، طب ، فلك ، لغة عربية ، أدب ، شعر .

و العلوم التي تقوم عليها حياة الناس طلبها فرض كفاية على الأمة، فإن سدت الثغرة ولبيت الحاجة سقط الإثم وإلا بقيت عالية على الغير وكانت كلها آثمة .

وهكذا كانت الأوقاف في عالمنا الإسلامي في الأعم الأغلب هي المورد الذي ينفق منه على التعليم وعلى المؤسسات الثقافية التي تقدم خدمة مجانية لعامة الناس ،

وحتى تتحول المكتبة إلى مركز إشعاع ثقافي لا بد من القيام بحملة إعلامية واسعة تعرف الباحثين بموقع المكتبة ومحتوياتها وتخصصها في المخطوطات الإباضية وفتح الأبواب والقلوب لكل مرتاد باحث عن الحقيقة، مسلم أو مستشرق، منصف للإباضية أو متحامل عليها، ولعل الاعتماد على المصادر الأصلية لأي مذهب يعدل الأحكام الجائرة الصادرة في حق بعض المذاهب.

أصبحت المكتبة الخاصة ضرورية في كل بيت مسلم، تحتوي على مراجع أساسية في مجال تخصص أهل البيت الأب والأم والأبناء (ذكور وإناث) حتى يتيسر الرجوع إلى أي مصدر دون عناء الاستعارة من مكتبة عامة قد لا تتوفر فيها نسخ متعددة من المصدر فيضطر الطالب إلى الانتظار. لكن المكتبة الخاصة تحتاج ميزانية ليست متيسرة لجميع الأسر خاصة إذا زودها صاحبها بتقنية حديثة كالحاسب الآلي. فالوقوف في المجال التربوي بفتح مكتبة موقوفة تمهد الكتاب لطالبه وتضمن المكان الهادئ والجو المشجع على المطالعة والتنقيب ، مفيد جدا للجميع.

وقد اعتنى الأصحاب بالأوقاف العلمية فألحقوا بالمدارس مكتبات مليئة بالكتب الهامة والأساسية في تاريخ المذهب وفقهه وتراثه وأغدق الأغنياء في الإنفاق على الطلاب حتى وسع الوافدين وأهل البلد، واستفاد من المكتبة من زارها واطلع على محتوياتها ومن قدّر نفاسة مخطوطاتها وقيمة مصادرها. إن المكتبة الموجودة في المساجد والزوايا تقوم بدور اجتماعي أهم من المكتبة الخاصة لأنها تساعد على نشر المعارف لدى جمهور أوسع، ورغم أن التعصب يعمي البصائر والتمذهب يفسد السرائر، لكن البحث الموضوعي يقتضي الرجوع - عند الكتابة عن مذهب معين- إلى أصوله ومصادره لذلك اضطر من كتب عن الإباضية أو أحب المقارنة بين المدارس الفقهية المختلفة أن يزور المكتبة التي تتوفر فيها مصادر إباضية مهمة.

وقد حرص الشيوخ عند وقفهم للكتب على نفع الطلاب المقيمين وكل من يرتاد المكتبة، فهي مؤسسة ذات نفع عام ومتعد، وتعتبر قربة إلى الله تعود مصلحتها لبازها في الآخرة، وينتفع المتصفح لأسفارها وكنوزها المخطوطة.

إن الحضارة الإسلامية أثمرت منذ القرون الأولى الكثير من المصنفات، وبدأت الحاجة ملحة إلى إعداد مكان تحفظ فيه الكتب ويستطيع فيه الباحثون الاطلاع على تلك المؤلفات، فقام الواقفون بإنشاء مكتبات تحفظ الكتاب وتضمن للطالب الوصول إلى المصادر دون الاضطرار إلى نسخه بخط اليد حيث لا تزال الطباعة غير منتشرة والكتاب نادر وباهظ الثمن. لقد يسّر الواقفون الحصول على الكتب المطبوعة والمخطوطة، وضمّاناً لاستمرار الانتفاع بها شجّعوا على الاستنساخ لتعدد النسخ من الكتاب الواحد، ووسّعوا خزانات الكتب لحث طلبة العلم على مزيد التحصيل وتمكين العلماء من البحث والتأليف، ونمت الكتب نمو العشب في أرض طيبة.

ورغم ما أصاب الأمة من انحطاط وجهل، تراجعت معه الحركة العلمية وتأثرت به الأوقاف ومنها المكتبات، فضاء منها الكثير وتهدد بعضها بالاندثار، إلا أنه لا بدّ من حمايتها وتيسير الاستفادة منها . وإذا صدق العزم على إعادة بعث المكتبات القديمة وإحياء وقفها، فلا صعوبة في استرداد الكتب، وتحتاج إلى بذل جهد ووقت لتذليل الصعوبات ، خاصّة و أن المكتبة الوقفية في عصر المعلوماتية دار تحتوي على مجموعة من أوعية المعلومات تم تحييسها لتقديم خدماتها للمستفيدين الراغبين في الاطلاع والبحث راجين في هذا العمل المثوبة والأجر من الله عزّ وجلّ

* خاتمة:

إن مؤسسة الوقف ذات أثر بعيد وفعال في تحسين أوضاع المستفيدين في مكان الوقف وخارجه، فواردات الوقف تخصص لخير وصالح الجميع، مهما اختلفت الأعراق وتعددت المذاهب وتباعدت المسافات، فنظام الوقف شامل ينظر إلى عالم الإسلام على أنه وحدة لا تتجزأ وهو كالغيث حيثما حل نفع.

لقد اتسع مجال الوقف الثقافي فشمل فضاءات عدة: التعليم، المكتبات، البحث العلمي، كراسي الدراسات، الجوائز الوقفية، الأروقة السكن الطلابي.

- التوجه الخيري عند المسلمين للوقف توجه أصيل، يجب الاقتداء به وقد بدأه أفضل الخلق رسول الله ، ويجب لذلك أن يحرص الناس في كل زمانٍ على الوقف، وحشهم عليه. وإنفاق لكثير من الأموال على أعمال البر والخير، ولو توجهت بعض هذه الأموال لإنشاء الأوقاف والصرف من عوائدها ضماناً لديمومة الأجر والمثوبة، فإن في ذلك خيراً عميماً وصدقة لا تنقطع.

- إن الأغراض التي نص عليها أجدادنا، لا يمكن تنفيذ الكثير منها مع تطور الأزمان والأحوال والأمم. وهنا يحتم الاجتهاد الفقهي المعاصر في الأغراض مع الأخذ بقاعدة شرط الواقف نص شرعي لا يجوز خلافه، بما يحقق أهداف الواقفين. والذي أخشاه أن بعض الناس يلغي الوقف نظراً لعدم إمكان تنفيذ أغراض وشروط الوقف. وهذا فيه حرمان للمنتفعين من الوقف.

- التداخل بين الوقف الخيري والوقف الذري، شائع وأصيل في مؤسسة الوقف في الإسلام، وقد أخطأ من ألغاه ، ويجب على علماء الأمة الإسلامية الدعوة إلى العودة إلى الأحكام الشرعية في هذا المجال، وحبذا لو تعود الأمة إلى الأخذ به ففيه خيرٌ كثير.

ان شريعتنا الغراء جاءت لتحقيق مصالح العباد في دينهم ودنياهم ودرء المفاسد عنهم.

• الوقف نوع من انواع الصدقات التي يقصد بها التقرب الى الله سبحانه وما زالت آيات الذكر الحكيم تحت على البر والانفاق، وتعد المتصدقين والمنفقين في سبيله خير الدنيا والاخرة وهذا امرٌ لا يبخس أثره في تنامي اعداد الواقفين في سبيل الله (جل وعلا).

• الواقع المؤلم الذي تعيشه امتنا، وقد استهدفت شعوبها وما زالت من قبل اعدائها محاولين طمس هوية الاسلام او تشويشها، ونسب كل ما يحط من قدر حضارته التي بناها ورعاها عبر قرون طويلة عندما كانت البشرية تغط في سبات الجهل والهوان.

• حقيقة الوقف نفسه كونه حبس العين والتصدق بالمنفعة وفي هذا يقول الدهلوي : ((فلا أحسن ولا أنفع للعامة من ان يكون شيء حبساً للفقراء وابن السبيل يصرف منافعه ويبقى أصله)).

• إسلامنا دين الدعوة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مبدأ كوني أمة هي خير أمة أخرجت للناس، عليها أن تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتجادل بالتي هي أحسن، ومثل هذا يجب أن توظف أموال الوقف.

* مقترحات

- إنشاء المكتبات العلمية وتزويدها بأحدث الكتب والمراجع العلمية التي يحتاج إليها الباحثون في عملهم.

- إنشاء أوقاف خاصة برعاية البحث العلمي ومساعدة الباحثين. (جائزة أفضل بحث، وقفية الشيخ للبحوث والدراسات).

- إنجاز مشروع طباعة الرسائل الجامعية المتعلقة بالإباضية وتيسير الإفادة منها.

- إنشاء جوائز محلية تعطى للمفكرين والمؤسسات في مواطن الإباضية لتشجيع الإبداع وتبادل الخبرات.

- إنشاء مراكز دراسات وبحوث متخصصة في نشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام وتزويد المؤسسات السياسية والإعلامية والثقافية في الغرب بذلك.

* توصيات:

- التوصية بالبحث والتحري عن أي وثائق أخرى لها علاقة بموضوع وقف الكتب والمكتبات، ويمكن التعاون في هذا الشأن مع أصحاب الأوقاف الخاصة ونظّارها ، وبعض الأفراد ذوي الاهتمام الخاص بالوثائق .

- العمل على تطوير أهداف الوقف لنواكب التطورات الحالية، ولنواجه المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي، والعالم أجمع.
- التوسع في الوقف ليشمل مع الأموال العقارية والمنقولة الخبرات والمعلومات والتخصصات المهمة .
- ولا يكفي أن نستظل أوفياء تلك الحضارة السامية، بل علينا إعادة النظر في أموال الوقف، ورسم طرق انفاقها بما يعيد للإنسانية الحاضرة كرامتها المهدورة وبما يهدد الأمم ويضمّد جراحاتها.
- إقامة هيئة إسلامية للوقف: تمول من أموال الوقف العام في جميع الدول الإسلامية تتولى تأسيس جامعة إسلامية عالمية، لنشر اللغة العربية لغير الناطقين بها، ونشر العلوم الإسلامية، هذه الجامعة تفتح ذراعيها لكل طالب وعلم ومعرفة.
- شحذ همم الباحثين من أبناء الجاليتين الجربية والميزابية للإقبال على التراث وتحقيقه ونشره وفاء للسلف وتعليما للخلف.
- التنويه بدور التجار والعلماء في إمداد الجاليتين بما تحتاجه بواسطة مال الوقف.
- إغناء المكتبة المغربية وإحياء التراث بغية وصل الحاضر بالماضي واستشراف المستقبل.
- أسأل الله جلّت قدرته أن يعمّ نفع البحث القاصي والداني وأن يجعله من حسنات ميزاني.

ملحق الصور : الصفحات الأولى والأخيرة للمخطوطات الموقوفة

للتلاتي قصيدة في رثاء صالح عوالة الآجيمي ص 42 من ديوانه